1998/12/15

التقارب العربي - الإيراني إمكانيات التفعيل

تزايد الاهتمام في الآونة الاخيرة بقضية العلاقات العربية بدول الجوار الجغرافي الأمر الذي يعبر عنه العدد الكبير من اللقاءات التي تتدافع جاعلة منها موضوعها الرئيسي ، ويأتي هذا الاهتمام على خلفية التطورات الساخنة التي تطرأ على المنطقة ، وتلعب فيها كل من تركيا وإيران وأثيوبيا أدوار أساسية متباينة الاتجاه إزاء العالم العربي الذي لا يزال محتفظا بوضعية الترقب ورد الفعل فمن ناحية تثير تركيا القلق العربي من جراء شراكتها النشيطة المتطورة مع اسرائيل ، ومن الجنوب لا يزال ملف التهديدات الأثيوبية حيا ومتجددا ، وفي المقابل وعلى غير المتوقع -تجئ رسائل " مودة " من الجار الايراني الذي طالما اعتبر العدو والمنافس الاقليمي العتيد ، خاصة بعد وصول خاتمي إلى مقاليد السلطة بتوجيهاته الانفتاحية ، الأمر الذي بدأ يحدث أثره في الفكر الاستراتيجي العربي دافعا اياه إلى التخلي عن التصورات العدائية التي ارتبطت بإيران في المخيلة العربية ، وإلى تبني ادراك ينظر في امكانية تحولها إلى حليف إقليمي في وجه التحالف التركي - الاسرائيلي ، وكطرف أساسي لخطط تعاونية مستقبلية ، بحيث وصل الأمر إلى إثارة فكرة تكوين محور أمني إيراني - عربي بين كل من مصر وإيران والسعودية وسوريا.

ولاشك أن فكرة توطيد العلاقات بدول الجوار مثلت دوما أحد المطالب الأساسية للأمن القومي العربي ، في وطن تترامى حدوده السياسية بشكل يبدو مكشوفا إلى حد بعيد ، وهو ما جعل بعض الأوساط العربية تستقبل بكثير من الارتياح والتأييد أنباء هذا " التحالف أو المحور " إلا أن الواقع يفرض عددا من التحديات التي تقيد من هذه الفكرة.

وبداية ، ينبغي التساؤل إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه التوجيهات الايرانية الجديدة تحولا جذريا ثابتا في السياسة الخارجية الايرانية ، يمكن النظر إليه والتعامل معه من المنظور بعيد المدى .. والواقع يقول إن ما جاء به خاتمي من توجهات جديدة تكاد ترتبط بشخصه وبمجموعته المحيطة دون أن تشكل أساسا في حد ذاتها لتوجه ايراني مستقر يحظى بالاجماع ، وليس بخاف التوتر الذي يحيط بعلاقة خاتمي بالمتشددين في الداخل والذين يسعون للإطاحة به ، الأمر الذي وصل إلى تنبؤ البعض بعملية تصفية يتعرض لها الرجل ومجموعته ، يستأصل بعدها أي تغيير حاول ادخاله على توجهات البلاد المستقرة منذ الثورة ، أضف إلى هذا ما يتردد عن صفقة عقدها رافسنجاني مع المتشددين ليفوز في مجلس الخبراء الأمر الذي يؤهله للدخول في مضمار المنافسة على الرئاسة مرة أخرى ،مقابل أن يتبع نهجهم المخالف لنهج خاتمي في حالة فوزه في انتخابات الرئاسة عام 2001.

وبعيدا عن صراعات الداخل الايراني ، وبالانتقال الى مفهوم المحور الأمني في حد ذاته ، تثور قضية تحديد المفاهيم الأساسية والأهداف التي يرجوها الطرفان من " المحور " ، حيث التناقض الجوهري بين كل من الرؤية العربية والمصرية بصفة خاصة ، من جهة ، والرؤية الايرانية حول اسرائيل ووضعها في المنطقة ، وهو تناقض لا تتخطاه حتى محاولات خاتمي الاعتدالية ، ناهيك عن موقف المتشددين ، واذا كان المحور الأمني ضد اسرائيل وتركيا فبأي معنى والى أي حد " الابادة . " وذات الأمر يمكن أن يقال عن قضية الموقف من أمن الخليج وحدود الدور الايراني فيه ، وتصورات كلا الطرفين حول حجم وطبيعة هذا الدور ، وعن مفهوم أمن الخليج وارتباطه بالأمن

القومي العربي ، وحقيقة الموقف الايراني من صيغ كصيغة اعلان دمشق على سبيل المثال ، وقضية الجزر الاماراتية الثلاث المحتلة.

بالطبع الامر يحتاج الى وقفة ودراسة متأنية لكي نخرج من إطار الدعاية الاعلامية التي تتغذى على عدد من المظاهر والدعوات الخارجية ، إلى اطار التفعيل والانجاز على أرض الواقع من ناحية أخرى ، يجب الأخذ في الاعتبار موقف الولايات المتحدة المراقب لهذه التطورات ، والتي لن تقف لتراقب جهودا لابعادها من منطقة الخليج حيث مصالحها الاستراتيجية التي حشدت من أجلها الحشود ، وقد تقابل أي خطوات جادة على صعيد تفعيل مثل هذا المحور ، بتحركات مضادة.

وفي النهاية ينبغي تأكيد على أن الهدف هنا ليس تحطيم الجسور أمام محاولات التقارب العربية - الايرانية ، ولكن الهدف الا يبقى هذا التقارب سجين صيغ بروتوكولية دعائية تبتعد به عن التحديد الدقيق لأهدافه ومضامينه وآلياته ليجد انعكاسه على أرض الواقع الفعلي بما فيه مصلحة الوطن العربي بشكل عام.

د . عمر الحسن

رئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

1998/12/22

كلينتون وبلير وبتلر وصدام يشتركون في اذلال شعب العراق

اذا كان السبب الحقيقي الذي دعا الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الى الأمر بتوجيه ضربات عسكرية الى العراق معروفا حتى بالنسبة للأمريكيين ، فإن الهدف من هذه الضربات يبدو بعيدا كل البعد عما أعلنه ويعلنه المسئولون الأمريكيون والبريطانيون .حيث كان تقرير بتلر الذي قدمه الى واشنطن قبل أن يقدمه إلى الأمم المتحدة ، وكأنه موظف في الخارجية الأمريكية ، وذكر فيه أن العراق لم يتعاون مع اللجنة الخاصة المكلفة بنزع أسلحته المحظورة ، هو المبرر الذي أعلن لمهاجمة العراق في حين انه ليس أول تقرير من هذا النوع، كما انها ليست المرة الاولى التي يتأزم فيها الموقف بين العراق واللجنة ، ولكن الجديد في الأمر أن بتلر قد قدم تقريره ، بينما يواجه الرئيس الأمريكي شبح العزل من منصبه بسبب فضائحه، ولذا فقد جاء ضرب العراق لصرف الانظار عن محاولات اسقاطه ، ومحاولة كسب تأييد ودعم الشارع السياسي الأمريكي الذي عبر عن رفضه في فبراير الماضي ضرب العراق .

وفي الوقت الذي بدا فيه من ردود الفعل المختلفة على الضربات الأمريكية للعراق ان السبب الذي دفع اليها ليس بخاف على أحد ، فإن مجلس الدوما (البرلمان الروسي) كان أبلغ في تعبيره عن ذلك على الرغم مما انطوى عليه هذا التعبير من سخرية من خلال توجيهه نداء الى مونيكا طالبها فيه بالتوسط لدى كلينتون لوقف الهجوم على العراق!!

وعلى الرغم من تأكيد كل من الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني على أن الهدف من ضرب العراق هو القضاء على اسلحته المحظورة وقدرته على تهديد جيرانه ، فإن السؤال هو : هل يحتاج تدمير القدرات العسكرية العراقية المزعومة الى كل هذه الصواريخ المتطورة التي سقط البعض منها على المناطق المدنية ، وماذا كانت تفعل لجان التفتيش على مدى اكثر من سبع سنوات اذا كان ما يمتلكه العراق من اسلحة كيماوية وبيولوجية ما زال كبيرا ، ولماذا التضخيم من قدرات العراق العسكرية في هذا الوقت بالذات ؟ ثم من هم الجيران الذين تحاول الولايات المتحدة ان تحميهم من هجوم العراق غير اسرائيل التي أظهرت الفترة الماضية ان أمنها هو الذي يحرك لندن وواشنطن في سياستهما ليس تجاه العراق فحسب ، وانما تجاه الشرق الأوسط بشكل عام ويحرك عمل اللجنة الخاصة ورئيسها بتلر الذي كشف وأحد أعضائها هو سكوت رايتر عن العلاقة بين عمل المفتشين الدوليين واسرائيل بصورة واضحة ، خاصة وان جميع العرب قد استنكروا الهجوم وطالبوا بوقفه فورا بما في ذلك دول الخليج التي اكدت على تعاطفها مع الشعب العراقي وطالبت بوقف الاعتداء عليه ، الا أن وزيرة الخارجية الامريكية مادلين اولبرايت قد حاولت ان تزرع مزيد من الاشواك والشكوك في المنطقة وتزيدها توترا من خلال ادعائها بأنها اتصلت بالعديد من المسئولين العرب المعنيين الذين< ابدوا تفهمهم لموقف واشنطن >

ان الهدف بعيد المدى للضربات التي كانت تعد لها واشنطن منذ شهور ، وعجلت اجراءات محاكمة كلينتون بها ، هو توجيه رسائل امريكية الى اطراف مختلفة ، اقليمية ودولية ، بأنها لن تتهاون مع سعي اي دولة شرق اوسطية لامتلاك اسلحة محظورة تهدد امن اسرائيل ، وان واشنطن هي قائدة العالم التي لا تسمح بأن يكون قرارها الذي ينبع من تقديرها لمصالحها الذاتية، مقيدا بموافقة أو اعتراض دول أخرى على تحركاتها الخارجية ،

ولذلك فإنها لا تعبأ بالمعارضة الدولية شبه الكاملة لمسلكها ضد العراق ولاتعطي بالا لمواقف كل من روسيا - التي صعدت الموقف فسحبت سفيريها من واشنطن ولندن وهددت باعادة النظر في علاقاتها مع الناتو وعدم التوقيع على معاهدة" ستارت2 "ورفعت الحصار على العراق من جانب واحد-أوالصين أوفرنسا ، كما انها الغت أي دور للأمم مما حدا بأمينها العام كوفي عنان إلى وصف اليوم الذي بدأ فيه ضرب العراق بأنه" يوم حزين."

ومن سخريات القدر أن يجئ" اغتصاب "الولايات المتحدة للشرعية الدولية في العراق، وضربها للمدنيين الابرياء ، وهدم منشآته العامة والخاصة في الاحتفالات بالذكرى الخمسين للاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي تتشدق بمبادئه وتستخدمها في الضغط على الدول وابتزازها وتهديد أمنها أحيانا.

ولاأقصد مما سبق اعفاء صدام حسين من الجرم الذي ارتكبه بحق شعبه وحق أمته والكوارث التي سببها باحتلاله للكويت عام 1990، ومما سيحدث طالما استمر في السلطة وفي اتباع نفس النهج الذي لا يخدم سوى مصالح أعداء الأمة ويزيد من معاناة شعبه وانتهاك انسانيته وحقوقه الاساسية . ان كل من صدام حسين وكلينتون وبتلر المطالب بالاستقالة، وتوني بلير ، الذي تبحث بلاده عن دور من خلال مشاركة واشنطن في حرب" لا ناقة لها فيها ولا جمل"، يشتركون في تقسيم العراق واذلال شعبه وتدمير ممتلكاته . واذا كان البعض يطالب بعقد قمة عربية لمناقشة الأمر فإن القمة مطلوبة ، ليس لمناقشة الضربات الامريكية والبريطانية فحسب وانما لبحث السبل الكفيلة بوضع حد لاستمرار التدهور في العراق ، وتجاوز الازمات المرحلية نحو مناقشة القضية بأكملها لوضع النقاط فوق الحروف حول علاقة العراق مع الأمم المتحدة بعد ثماني سنوات من الحصار والعلاقات العربية -العراقية ورواسبها التي يأتي في مقدمتها قضية الأسرى الكويتيين ، والاتفاق على اطار عام للتعامل مع التحديات الدولية التي تواجه العرب في مطلع القرن الحادي والعشرين ، فهل يستطيع العرب ذلك .. هذا هو التحدي.

لندن في 1998/12/19

د . عمر الحسن

رئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

1998/12/29

استراتيجية خليجية لمواجهة أزمة أسعار النفط

منذ أن بدأ الانهيار في أسعار النفط مع نهاية العام الماضي وحتي اليوم ، يردد المحللون والخبراء ، أن الأزمة النفطية لن تنفرج إلا بحدوث" كارثة "ما ، تنشط الطلب الراكد في الأسواق ، وكان احتمال توجيه ضربة عسكرية ضد العراق ، أهم دلالات معنى" الكارثة "لدى هؤلاء .ولكن وقعت الضربة الأمريكية-البريطانية ، وجاءت عنيفة مباغتة كما رأينا ، ومع ذلك ، لم ترتفع أسعار النفط ، بل على العكس ، لم تهتز الأسواق وكأن شيئا لم يكن ، في إشارة بالغ الوضوح الى الدول النفطية بأن عصر ارتفاع الاسعار قد ولى ، على الاقل في المدي المتوسط حيث السوق متخمة بالنفط بدرجة لا تفلح معها اي محاولات لخفضها.

ولاشك أن قضية انخفاض أسعار النفط تطرح تحديات كبرى أمام دول مجلس التعاون التي تعتمد على النفط في نحو 70 %على الاقل من عوائدها . ورغم المسيرة التنموية الطويلة لتلك الدول والتي حاولت فيها أن

تتخلص من الاعتماد على سلعة استراتيجية واحدة ، بقى النفط هو جسر التنمية في هذه الدول وممولها الرئيسي ، وتمحورت حوله وحول منتجاته أهم صناعاتها واستثماراتها . واليوم ومع الهزة العنيفة التي يتعرض لها النفط في الاسواق والتي وجدت ارهاصاتها في التزامن غير الموات بين انطلاق شرارة الازمة الاقتصادية في اسيا ، وبين قرار سابق لأوبك برفع سقف الانتاج ، فإنه بات من المحتم على هذه الدول أن تراجع استراتيجيات عملها على مستويين : الأول، ما يتعلق بهيكلة اقتصادها وأساليب انفاقها ، خاصة فيما يتعلق بوضعية الدولة " الريعية الراعية"، والثاني : يتعلق بتكثيف الجهود المبذولة على صعيد التكامل والاندماج فيما بين الدول الست ، تطبيقا وتفعيلا لمقررات اتفاقية الوحدة الاقتصادية لعام 1982.

يأتي هذا في اطار حملة من الاعتبارات التي تشكل في حد ذاتها عدد من نواقيس الخطر ، من ذلك الادراك المتزايد بأن أزمة النفط الحالية ، ليست مجرد" كبوة "ستستعيد الأسعار بعدها قوتها ، بل ان الامر يبدو على العكس ارهاصة لوضعية ستستقر فيما بعد على الأمد الطويل ، يؤيد ذلك القراءة الجامعة للتحركات المنظمة المتزامنة للدول الغربية المستهلكة ، فمن ناحية تدأب هذه الدول على مهاجمة النفط كمصدر" ملوث للبيئة "، وتفرض عليه وعلى منتجاته الضرائب الباهظة ، من ناحية أخرى ليس بخاف ما يعتور قرار مجلس الامن برفع حجم اتفاق النفط مقابل الغذاء من ملياري دولار الى 5.2مليار دولار دفعة واحدة ، من ريب ، تتفاقم عندما نعلم أن أوروبا تفرض على استهلاك الطاقة داخلها ضرائب كبيرة ، ومع انخفاض الأسعار تزيد الضرائب المفروضة بما يزيد من عائدات تلك الدول عكس الوضع في دولنا المنتجة .

يزيد من خطورة الموقف" الحمى الاندماجية "التي يشهدها سوق النفط ، فبعد اعلان بريتيش بتروليوم شراء شركة أموكو بمبلغ 53 مليار دولار، وهو الاندماج الذي كان يعتبر الأكبر في عالم النفط ، فاجأت شركة" اكسون " النفطية العملاقة الأسواق باقدامها على صفقة هي الأكبر من نوعها لشراء " موبيل "بقيمة 77.2 مليار دولار ، وجاءت الصفقة في اليوم نفسه الذي أعلنت فيه مجموعة توتال الفرنسية أنها ستندمج مع" بتروفينا "البلجيكية في صفقة قيمتها 39 مليار دولار ، لتصبح سادس أكبر شركة نفطية .وتكمن خطورة هذه الاندماجات في الظلال الاحتكارية التي بدأت تلوح على أفق سوق النفط بشكل قوي ، مشكلة اعادة هيكلة جذرية للأسواق يتراجع فيها دور المنتجين الفرادى ودور منظمات كالأوبك التي فقدت بالفعل مصداقيتها ، وربما وجودها وأضحت اجتماعاتها الدورية بلا مردود على السوق.

من هنا كانت ضرورة سرعة التحرك على المستوى الخليجي ، ويرى البعض ضرورة اخضاع الأمور للمنافسة بحساب نفقات الانتاج وأسعار السلع ، وبهذا الحساب فإن الدول الخليجية التي تتراوح نفقات الانتاج داخلها للبرميل الواحد بين دولار ودولارين ، ستحقق بالفعل أرباح معقولة من بيع برميل النفط بعشرة دولارات للبرميل ، خاصة في انتاجها من الحقول القديمة وليس من الحقول التي يتم تطويرها حاليا ، وهذه السياسة ستؤدي الى اخراج المنتجين ذوي النفقات الانتاجية الأعلى من السوق وستجذب الإستثمارات منهم أيضا الى دول الخليج .. ولكن هذه الرؤية تعني اهمال الحقول الجديدة ، وما قد يترتب على ذلك من ضياع الأموال التي استثمرت فيها .والمشكلة أن الاعتماد الكبير لدول المجلس على النفط كمصدر للعائدات ، يجعل مواقفها أقل مرونة تجاه الدول المستهلكة بشكل عام.

ولكن رغم هذا يظل النفط الخليجي متمتعا بأهمية خاصة ، هذه الأهمية تحتاج من دول مجلس التعاون المزيد من التنسيق وتطبيق اجراءات تكاملية فيما بينها فيما يتعلق بانتاج النفط وتكريره وتسويقه أي تطوير نوع من "التجانس النفطي "بينها ، وسياسة نفطية موحدة تجاه العالم ، بحيث يتضمن هذا التجانس : الاندماج بين الانشطة النفطية المكررة في دول المجلس لرفع الكفاءة وخفض التكلفة أسوة بالاندماجات الحادثة في سوق النفط ، بحيث يكون لتلك المجموعة تحرك واحد ازاء المتغيرات الدولية المتسارعة.

لندن في 22-12-1998

د .عمر الحسن

رئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

1998/4/20

لقاء له معنى مع الرئيس مبارك

بقلم: د.عمر الحسن

رئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية – لندن

إنها المرة الأولي التي أتشرف فيها بلقاء فخامة الرئيس محمد حسني مبارك، بصحبة وفد برلماني بريطاني مكون من أحد عشر عضوا، جميعهم يزور مصر لأول مرة ، فيما عدا رئيس الوفد الذي زارها لساعات مرافقا لوزير الخارجية روبين كوك في مارس الماضي ، تلك الزيارة التي تمت بالتعاون والتنسيق مع سفير مصر في لندن .

وكان تشرف الوفد بلقاء الرئيس لأكثر من الساعة ونصف الساعة ، تعبيرا عن تقديره للدور الذي تلعبه البرلمانات في توجيه سياسات دولها والتأثير عليها، وايمانا منه بأهمية كسب الاصدقاء من هذا الجانب.

حيث يؤمن بأن التحرك يجب أن يكون شاملا ، وعلي كافة الاتجاهات والمستويات ، وخاصة المتعلقة بالرأي العام العالمي الذي اثبت أنه قوة ضغط قوية وقادرة علي احداث التغيرات المطلوبة في سياسات وتوجهات القوي الكبري ، والأزمة الأخيرة بين العراق والولايات –الامم المتحدة أكبر شاهد علي ذلك.

فالقضايا العربية التي تحتاج الي توضيح الصورة بشأنها لدي الرأي العام الغربي كثيرة ، ومن هنا جاء اجتماع الرئيس مع الوفد البرلماني البريطاني ادراكا لطبيعة المرحلة التي تعيشها الامة ، ونوع العمل والتحرك الذي تحتاجه.

والواقع ان زيارة الوفد البريطاني لمصر ، ولقاءه مع قيادتها، تكتسب اهمية خاصة من حيث التوقيت ، والظروف ، ودور بريطانيا في قضايا الشرق الاوسط ومعرفتها بها، وهذا ما يمكن تبينه من الاتي :

* بريطانيا هي المسؤولة عن مأساة الشعب الفلسطيني، وهي رئيسة الاتحاد الاوروبي في دورته الحالية، كما أنها ترتبط بعلاقات وثيقة مع دول الشرق الاوسط، وتعرف اكثر من غيرها طبيعة الاوضاع بها، بحكم روابطها التاريخية مع دولها وفي مقدمتها مصر ودول المشرق العربي والخليج ، وهذا ما اكد عليه رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أثناء زيارته للسعودية، حيث أشار الي ان هناك 30 الف وظيفة في بريطانيا تستفيد من الصادرات البريطانية الي السعودية، وان هناك 30 الف بريطاني يعملون في المملكة ، هذا اضافة الي من يعملون في دول الخليج الاخري ، كما

أن الاتحاد الاوروبي هو الشريك التجاري الاول لدول مجلس التعاون ، ويحظي بتواجد اقتصادي وتجاري اكبر مما تحظي به الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، ويستورد 60٪ من الصادرات الاسرائيلية ، وهذا معناه أنه يمتلك الدافع للتحرك بشأن عملية السلام من ناحية ، وأوراق الضغط اللازمة من ناحية أخري ، وخاصة تجاه اسرائيل ، يضاف الي ذلك ان بريطانيا عضو دائم في مجلس الامن ، ورئيسة مجموعة الكومنولث البريطاني.

*ومن حيث التوقيت ، فالزيارة جاءت في وقتها ، حيث التعثر في عملية السلام ، وفشل الادارة الامريكية في ممارسة الضغط اللازم لتحريكها ، وبالتالي المطالبة بدور أوروبي في هذا الشأن ، وقد بدأت بريطانيا فعلا تحركا علي هذا الاتجاه من خلال جولة روبن كوك في المنطقة ، ومن بعده جولة رئيس الوزراء توني بلير التي جاءت زيارة الوفد البرلماني قبل مجيئه الي محطته الاولي في الشرق الاوسط بأيام قليلة ، يضاف الي ذلك ما وجهته بعض الدول العربية وعلي رأسها مصر من انتقادات الي بريطانيا بسبب ايوائها لعناصر عربية متطرفة ، ومطالبتها بإعادة النظر في قوانين اللجوء السياسي التي توفر الملاذات الامنة لهذه العناصر، وما بدا من استعداد للتغير ، في الموقف البريطاني تجاه القضية، يحتاج الي استمرار الضغط بصور مختلفة، حيث رفضت بريطانيا اعطاء تأشيرات لبعض العناصر المصرية المتطرفة لحضور مؤتمر في لندن مؤخرا، كما سيبحث البرلمان البريطاني مشروع قانون يضع قيودا صارمة علي نشاط المتطرفين العرب والشرق اوسطيين الذين يتخذون من بريطانيا مقرا لهم ، وهو ما أكده توني بلير أمام جمعية رجال الأعمال المصرية –البريطانية وفي مؤتمره الصحفي مع الرئيس مبارك حينما اشار الي ان بلاده ستصدر هذا القانون.

وجاءت الزيارة في الوقت الذي بدت فيه اتجاهات الرأي العام العربي ايجابية نسبيا تجاه بريطانيا ، بسبب زيارة كوك للمنطقة وانتقاده لإسرائيل ، بعد الاستنكار الشعبي العربي الواسع لموقف بريطانيا المساند للولايات المتحدة في الدفع لتوجيه ضربة عسكرية للعراق اثناء الازمة الاخيرة.

وقد استطاع الرئيس مبارك ، بصراحته ووضوحه المعهودتين ، ان يطرح وجهة النظر العربية بإعتباره رئيس القمة العربية الاخيرة تجاه القضايا التي تهم المنطقة وفي مقدمتها قضية السلام ، بصورة اعطت انطباعا لدي الوفد بوضوح الرؤية المصرية واتزانها . حيث اكد سيادته ، في حديثه، علي العديد من المبادئ والقضايا التي يمكن ايجازها في الاتي :

– أن مصر هي التي فتحت طريق السلام في المنطقة ، من خلال معاهدة السلام المصرية – الاسرائيلية عام 1979 ، وتحملت تبعات ذلك ، كما أخذت علي عاتقها اقناع دول المنطقة بجدوي السلام وأهميته وضرورة انهاء الصراع التاريخي بينهما، ولولا هذا الجهد ، بالاضافة الي جهود أخري ، ما بدأت عملية السلام التي انطلقت من مؤتمر مدريد عام 1992.

– لم يتوقف الدور المصري عند اقناع العرب بالدخول في عملية السلام ، وانما استمر هذا الدور فاعلا ومؤثرا في دعم اطار مدريد ، والوقوف ورائه ، فكان دور مصر كبيرا في اتمام اتفاق اوسلو عام 1993 ، وبعض الاتفاقيات الاخري التي تمت في اطاره مثل اتفاق طابا عام 1994، واتفاق الخليل عام 1996.

– حرصت مصر دائما علي التشاور مع أشقائها العرب للوصول الي موقف موحد وسليم تجاه عملية السلام ، من خلال المساهمة بالرأي والمشورة التي توضح الصورة الحقيقية أمام الاطراف العربية ، دونما ممارسة اي ضغوط عليها، أو التدخل في قراراتها الذاتية.

وهنا أكد الرئيس مبارك علي أن مصر دولة عربية تعتز بعروبتها ، وستبقي كذلك متحملة مسئوليتها في هذا الاطار ، ومن هذا المنطلق تسعي للسلام العادل والدائم الذي هو مصلحة عربية واسرائيلية ، فالسلام مصلحة للجميع، ولهذا فإن علي اسرائيل الالتزام بالاتفاقيات التي وقعتها ، مشيدا بالدور الذي لعبه حزب العمل الاسرائيلي تحت قيادة اسحق رابين في تقدم عملية السلام علي المسارات السورية والفلسطينية والاردنية ، مما أدي الي توقيع اتفاقيتي اوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ووادي عربة مع الاردن ، والاقتراب من اتفاق بشأن الجولان.

ويري الرئيس ان الكارثة بدأت مع مجئ نتنياهو الي الحكم ، حيث أخل بكل الاتفاقيات والالتزامات ، ولم يف بوعوده له عندما زار القاهرة للمرة الاولي ، مما أوجد أزمة ثقة كبيرة في علاقاته مع القادة العرب ، والرئيس الامريكي ذاته الذي اوضح الرئيس مبارك انه لا يشك في رغبته بالالتزام بعملية السلام والاتفاقيات المعقودة في اطارها ، الا انه غير قادر علي ممارسة الضغوط اللازمة علي اسرائيل بسبب قوة اللوبي اليهودي في الكونجرس الامريكي واثارته المشاكل له كلما حاول ان يتحرك لدعم السلام.

الإ أن هذا لم يمنع الرئس مبارك من مطالبة الولايات المتحدة بتحمل مسئوليتها من أجل انقاذ عملية السلام ، واستشهد بقدرتها علي الضغط بموقف الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش حينما ربط مسألة ضمانات القروض لاسرائيل بحضورها مؤتمر مدريد.

– صعوبة الموقف الامريكي في عملية السلام ، وعدم قدرته علي الحركة ، تدفع الي ضرورة ان يكون لاوروبا دور في هذا الشأن ، يتمم ويساعد الدور الامريكي ، وليس بديلا له ، واكد ان الولايات المتحدة عليها ان تعيد النظر في سياستها تجاه الشرق الاوسط بعدما تعرضت لسلسلة من الاخفاقات في العديد من المواقع مثل عملية السلام ، والعراق ، وايران .

وفي اطار حديثه ، ذكّر بالموقف المصري والعربي تجاه العرض الاسرائيلي بالانسحاب المشروط من جنوب لبنان ، مؤكدا علي ان القرار 524 لا يضع اي شروط لتنفيذه ، وان عملية السلام تحتاج الي التحرك علي المسارات السورية والفلسطينية واللبنانية .

و يمكن القول ان حديث الرئيس مبارك مع الوفد البرلماني البريطاني حول عملية السلام ، كان ذا معان ودلالات ثلاث :

الاولي : هي أنه أراد أن يوصل رسالة الي بعض الذين شككوا في دور مصر ، وإتهام اسرائيل لها بعرقلة التقدم في العملية السلمية في بعض مراحلها.

الثانية : أن مصر عندما تتحدث عن السلام فإنها لا تتحدث من فراغ ، وانما من رصيد تاريخي كبير ، تستطيع من خلاله ان تقدر قيمة السلام وخسائر الحرب ، والفرق بين السلام الحقيقي الذي يراعي احتياجات ومصالح الجميع ، والمراوغات التي لا تهدف سوي تضييع الوقت واصطناع الازمات.

الثالثة : أن مصر عندما تتحدث عن عملية السلام فإنها تتحدث من منطلق الايمان بهذا السلام الذي كانت أول دولة عربية تسير علي دربه ، وبالتالي فإنه لا مجال لأن يزايد أحد علي دورها وتوجهها في هذا الشأن.

ولم يقتصر حديث الرئيس عن عملية السلام في الشرق الاوسط فقط ، وان كانت قد اخذت الحيز الاكبر منه، وانما تناول قضايا اخري منها ، ايواء بريطانيا للعناصر الارهابية والمتطرفة، وضرورة اعادة النظر في هذا الموضوع، وكان في ذلك ، اراد ان يضع النواب البريطانيين أمام مسئولياتهم التي يجب ان يقوموا بها.

واذا كنت اقول ان زيارة وفد مجلس العموم البريطاني لمصر كانت ناجحة ، فقد تعددت ابعاد وجوانب هذا النجاح ، حيث جاء اللقاء مع الرئيس مبارك بعد اللقاءات مع رئيس مجلس الشعب ، د. احمد فتحي سرور ، ووزير الخارجية عمرو موسي الذي استطاع بعرضه التحليلي العميق والواضح، ان يعطي للوفد خلفية كاملة عن أوضاع ومشاكل المنطقة التي يتعرف عليها بعضهم لأول مرة، بإستثناء أحد أعضاء الوفد من حزب المحافظين، الذي كان أحد النشطين في مجموعة اسرائيل بالحزب، وجاء الي القاهرة ليستمع الي وجهة النظر العربية، وخرج بانطباع مفاده ان الدبلوماسية العربية التي تقودها مصر استطاعت ان تكسب ساحات عديدة، وتعزل الحكومة الحالية في اسرائيل بين الجاليات اليهودية في العالم وفي بريطانيا وفي دائرته الانتخابية نفسها التي يوجد بها عدد كبير من اليهود.

واذا كان لقاء الرئيس مبارك بالوفد البريطاني ، قد أعطي للزيارة أهميتها وجديتها ، فإنها تأكيدا لهذا المعني ، اسفرت عن العديد من النتائج المهمة وفي مقدمتها :

– الاتفاق علي تشكيل مجموعة أصدقاء بريطانيا في مجلس الشعب المصري ، ومجموعة اصدقاء مصر في البرلمان البريطاني التي سيصل عدد اعضائها الي أكثر من مائة وعشرين عضوا يمثلون مختلف الاحزاب ، ومن مجلسي العموم واللوردات .

– وعد الوفد البرلماني البريطاني بمتابعة قضية اللجوء السياسي في بريطانيا ، واعادة النظر في القوانين التي تحكمها والعمل علي الاسراع في اتمام هذه المهمة.

– اكد الوفد علي انه سيتصل ببرلمانات العالم المختلفة ، بما فيها الكونجرس والكنيست الاسرائيلي ، من أجل ممارسة الضغط علي اسرائيل في عملية السلام ، ونقل وجهة النظر العربية التي اقتنعوا بعدالتها بعد استماعهم الي الرئيس مبارك.

ان زيارة وفد مجلس العموم البريطاني لمصر ، هي نموذج ناجح لتحرك عربي فاعل لطرق أحد جوانب العمل المؤثر علي الساحة الدولية ، وهو مقدمة لخطوات أخري علي نفس الطريق.